

مَجَالِدُ الْمُشْتَرِقِ
وَفَتْحُ رَسَائِلِ الْإِسْرَافِيَّةِ
مُخْتَصَرٌ مِنْ أَسْكَرَ الْهَيْفَةِ

تَحْقِيقُ
مُحَمَّدِ أَمِيرِ الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ

الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
صَيِّدَاءُ بَيْرُوتَ

مَسَامُ الْمُسْتَوْنَ
فِي شَرْحِ رِسَالِ الزَّائِرِ زَيْدُونَ
نَحْلِيلُ بْنُ أَيُّوبَ الصِّفْدِي

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْإِبْرَاهِيمِ

منشورات المكتبة العصرية

صكيد ١ - بيروت ص ٨٣٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

من الطرائق التي سلكها القدماء في التأليف والتصنيف، طريقة الشروح والخواشي والتعليق؛ يعمد المؤلف إلى نص نفيس سار ذكره، أو كتاب موجز اشتهر أمره، فيتناوله بالتفسير والشرح إن كان مبهماً، أو يبسطه بالإيضاح إن كان موجزاً، ويزيد فيه بما يتاح له من المعاني، وما وقع من الخبرات والمشاهدات؛ ثم يستطرد بما يتداعى إلى ذهنه من فنون الكلام، مما قرأ وحفظ، أو سمع وروى، فيكون النص أو الكتاب بفد ذلك شيئاً آخر حفيلاً بالفوائد، جامعاً لشميت المسائل.

وبهذا المنهج المفيد، حفظ كثير من أبواب العلوم والفصول في الآداب ومرويات الشعر وأطراف الفنون، ونقل إلينا ما أودع في بطون كتب وأسفار، ربما تكون قد ذهبت بها عوادي الأيام.

ونظرة إلى ماحوت مشروح نقائض جرير والفرزدق، والمفضليات، والمعلقات، وما أورده ابن أبي الحديد تمليقاً على كتاب نهج البلاغة وأبو العباس الشريشي على المقامات، وما اشتمل عليه كتاب خزانة الأدب للبغدادي، وما استطرد به ابن هشام في شرحه لقصيدة «بانت سعاد»، وما عقده العلماء من فصول وأبواب حول كتب الفقه والنحو والأصول، مما يدرس الآن في المعاهد والجامعات... كل هذا ومثله، مما زخرت به الآداب العربية؛ وأفاد منه الباحثون والدارسون على مر العصور.

ومن هذه الشروح النفيسة، هذا الكتاب الذي أسماه صاحبه «تمام للتون من شرح رسالة ابن زيدون»، وهي الرسالة المعروفة بالجدية.

وابن زيدون صاحب مذهب في الكتابة والإنشاء عرف به ونسب إليه ،
فقد كان إلى ما اشتمل عليه من اللفظ المحبّر ، والأسلوب الرشيق المنمق ،
والديباجة الصحيحة المصفاه ، يشتمل على كثير من ذكر الأحداث والإشارات
التاريخية والمعارف الأدبية ، ما يجعل ميدان الشرح واسعاً ، ومناسبات
الاستطراد والتعليق متنوعة . . .

وان كانت رسالته المعروفة بالرسالة الهزلية - وهي الرسالة التي كتبها
على لسان ولادة بنت المستكفي ، لإحدى الظريفات من نساء بنات خلفاء الغرب
الأمويين إلى أحمد بن عبدوس - قد امتلأت بذكر الأعلام من رجالات الجاهلية
والإسلام ، ما مكن لشارحها جمال الدين بن نباته أن يورد في شرحها قدراً
وافياً من التراجم الأصلية ، والروايات التاريخية ، فإن هذه الرسالة التي
كتبها إلى أبي الوليد بن جهور مستمطفاً معتذراً قد حوت من بديع الاستعارات
ومحسن الكفانيات ، وضروب الأمثال ، والإشارة إلى كبريات الأحداث في
الجاهلية والإسلام ، والاستشهاد بفرر الشعر ومصطفى القصيد ، ما أتاح
لشارحها ، أن يورد حولها ما شاء من ذكر تاريخ هذه الأحداث والوقائع
وما دار فيها ، وأن يعمد إلى قدر كبير من الأمثال ، يذكر مواردها ومصادرها ،
وأن يروي من القصائد النادرة والخطب الجامعة ، والرسالة والمحبّة ، والقصص
والحكايات والأفكار والفوائد ، ما نضجت به القرائح في الجاهلية والإسلام ،
وحفلت به بطون الكتب والدواوين ، وما تنوّل في مجالس الأدب والشعر
على مرّ العصور ، ما جعل هذا الشرح حافلاً بأكرم الدخائر وأنفس الأعلام .
بالإضافة إلى أنه جمع فيه المتشابه من معاني الشعراء الأقدمين والمحدثين من عصره في
مصر والمراق والشام ، وأضفى عليه من حسن المنحى واطراد التنسيق ما جعله
مراد النفس وراحة العقل ومتمعة القلب والخطاطر .

ومما زاد هذا السفر نفاسة وقبولاً تلك الرسالة الفريدة التي ذيل بها ،

للكاتب محي الدين بن عبد الظاهر ، أحد أشيخ الإنشاء في القرن السابع ، كتبها إلى الامام ناصر الدين حسن بن شاوور المعروف بابن النقيب ، هذا فيما حدو ابن زيدون ، وهي رسالة نادرة انفرد المؤلف بروايتها ، قصد بها الموازنة بين نثر ابن زيدون وبين من قلده من كتاب الإنشاء .

* * *

ومؤلف هذا الشرح هو صلاح الصفدي ، أحد الكوكبة من الأئمة المصنفين في الإسلام ؛ بل هو من أسبقهم في هذا الميدان ، جال في فنون الأدب والسير والتاريخ والتراجم ، ما بين مطول ومختصر ، ومنه ما أورده نثراً ، ومنه ما صاغه شعراً . وقد ترجم له الكثير من العلماء ، وأفردت لكتبه البحوث والمقالات ^(١) . وأورد من هذه التراجم نص الترجمة التي أوردها له المؤرخ ابن تقي بردي في كتابه المنهل الصافي ^(٢) فإنه استوفى أخباره وذكر كتبه ، كما أوردها فيها كثيراً من مختار شعره . وفيه نص رسالته لمعاصره جمال الدين بن نباته ، وإجازة ابن نباته له في ردّ رسالته ، وهي من النصوص المخطوطة التي لم تنشر بعد ؛ قال بن تقي بردي :

خليل بن أبيك الألبكي الشيخ الإمام البارع المفنّن صلاح الدين أبو الصفاء الصفدي الأصل الدمشقيّ الدار والوفاة ، الشاعر المشهور . مولده سنة ست وتسعين وستمائة ، وحفظ القرآن العزيز في صغره ، ثم طلب العلم ، وقرأ على علماء عصره إلى أن برع وساد في الرسائل والنظم والنثر ، وشارك في الفضائل ، وكتب

(١) انظر الأعلام للزركلي ٢: ٣٦٤ ، إيضاح المكنون ١: ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٥٥١/٢ : ٦٧ ، ٨٣ ، ٤٤١ ، ٦٧٨ ، البدر الطالع ١: ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٣ ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣ : ١٦١ الدرر الكامنة ٧ : ٨٧ ، ٨٨ ، شذرات الذهب ٦ : ٢٠٠ ، ٢٠١ ، طبقات الشافعية ٦ : ٦٤ — ١٠٣ ، كشف الظنون ٣١ ، ٤٨ ، ١٢٨ ، ٣٨٨ ، ٤٨٨ ، ٥٩٣ ، ٦٠٦ ، ٦٦٧ ، ٧٧١ ، ٨٤١ ، ٩٠٤ ، ١٠٧٣ ، ١١٠٨ ، ١١٢٣ ، ١٢٧٤ ، ١٤٨٨ ، ١٥٣٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٨٦ ، ١٩٩٦ ، معجم المطبوعات ١٢١٠ ، معجم المؤلفين ٢ : ١١٤ ، ١١٥ ، مفتاح السعادة ١ : ٢١٥ ، النجوم الزاهرة ١١ ، ١٩ — ٢١ .

الخط المنسوب ، وقرأ الحديث ، وكتب وسمع بالقاهرة من الدبوسى وغيره ،
وبدمشق من أبى الحسن على بن البندنجى وغيره ، فى النحو واللغة والأدب
والإنشاء ، وولى كتابة المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها وبالديار المصرية . ثم
ولى كتابة السر بحلب ، وباشر وظائف جليلة ، وكان بينه وبين علماء عصره
وأدبائه مكاتبات ومراسلات ، كالحافظ أبى الفتح ابن سيد الناس ، والبارع
جمال الدين بن نباته ، والشيخ زين الدين عمر بن الوردى ، وأبى عبد الله المقرئ ،
وغيرهم ، وجمع وصف التصانيف المفيدة .

وذكره الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى معجمه المختص وأثنى عليه ، وكتب
من نظمه ونثره ، وقال : كان إماماً عالماً صادقاً ماهراً فى صناعة الإنشاء ، قدوة
فى فن الأدب ، حسن الأخلاق والمحاضرة ، رُحلة الطالبين ، كتب وصف التصانيف
الكثيرة ، وحدث . سمع أبا المعالى بن عسائر بحلب . وله نظم رائق ، ونثر فائق .
انتهى كلام الذهبى .

قلت : ومن مصنفاته كتاب جنان الجناس ، وفص الغتام عن التورية
والاستخدام ، والمجارة والمجازة مجلدان ، ونصرة التائر على النمل السائر ،
وحلوة المحاضرة فى جلوة المذاكرة ، وحسن التصريح فى مائة مايح ، والكشف
والتنبيه على التشبيه مجلدان ، ولذة السمع فى وصف الدمع ، وغرة الصبح فى
اللب بالرمح ، وجزّ الذيل فى أوصاف الخيل ، والروض الباسم والعرف
الناسم ، مقاطيع ونظم . والمثنائى والثلاث مقاطيع ونظم أيضاً . وشرح لامية
المعجم فى أربع مجلدات . ونكت الهميان فى نكت الهميان فى مجلدان ، والشعور
بالعور ، وكشف الحال فى وصف الخال ، وألحان السواجم من البادى والراجع ،
فى أربع مجلدات ، وطرد السمع عن سرد السمع ، فى أربع مجلدات ، والمقترح فى
المصطلح ، وطراز الأنغاز ، وتوشيح التوشيح ، وزهر الخائل فى ذكر الأوائل ،
وتحرير التعريف وتصحيح التصحيح ، ونجم الدياجى فى نظم الأهاجى ، وحقيقة

الجزاز إلى الحجاز ؛ نظم ونثر ، صورة رحلته ، والفصل اللئيف في المولد الشريف ،
وغوامض الصحاح ، ونفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوم ، وحلى النواهد
على مافي الصحاح من الشواهد ، في خمس مجلدات ، ورسالة عبدة الاليب بمثرة
الكثيب ، ورسالة رشف الرحيق في وصف الحريق ، ورسالة اختراع الخداع في
مخالفة النقل والطباع ، والوافي بالوفيات الكبير في اثنتين وستين مجلداً
صفاراً ، وأعيان العصر وأعوان النصر ، ذكر فيه من مات في عصره من الأعيان
في اثني عشر مجلداً لطيفاً ، وله تصانيف غير ذلك .

ولما كان سنه نيماً على ثلاثين سنة أرسل واستجاز الشيخ جمال الدين محمد
ابن نُبَيْتِه فقال : الحمد لله على نعمائه والصلاة والسلام على أنبيائه محمد وآله وصحبه .
المستول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رُحْلة أهل الأدب ، قبله
ذوى التحصين له في التحصيل والدَّاب ، الذي تبيت شوارد المعاني صرعى نخوة
للاطافة تخيله ، وتُسمى الألفاظ العذبة طوع تحوله في التراكيب وتحيله ، فأسمى
وله النسيب الذي يضحك من العباس في رفته ، ويقيم صريع الفواني إلى مقته
بعد مقته ، والفرل الذي يشيب له فود الوليد ، ويسترق الحر من كلام عبيد ،
والتشبيه الذي لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فخاً لصيد النجوم ، ولو تماطاه
حفيد جُريح ل قيل له : ألم تسمع « ألم غلبت الروم » ، والمديح الذي لو بلغ زهيراً
لقال : ما أنا من هذه الحدائق ، أو اتصل نبؤه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر المذنب
وبارق ، والرثاء الذي نقص عنده أبو تمام بعد أن رُفع له لواء الشرف والفخر ،
وقال : هذه عذوبة الزلال لا ماتفجر من الخفساء على صخر ، والترسل الذي
سقى الفاضل كأس الخوف ، لما شبهه الغمود بالكائنم والسيوف بالأزهار ،
وأذهله حتى صحت له قسمة التجفيس في الخيل والخيال بين المراقب المراقد ،
وأخطات معه في المراجع والمساجد بين الأنواء والأنوار ، والكتابة التي تظفر

الطروس بها وكأنها برود محبرة أو سماء بالنجوم زاهرة ، إن لم ترض أن تكون في الأرض رياضاً مزهرة .

أدب على الحضري يعلو تاجه وله ابن بسم بكى ألوانا
وترسل سيجان من قد زاده منه وأعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها في وضمها ليس ابن مقلة عندها إنسانا
فلكم أخى فضل رأت عيناه في الأوراق لابن نباتة بستانا

جمال الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة؛ جمع الله به شقات أهل الأدب في دوحة هذه الدولة ، ولم به شعث أبنائه الذين لاصون لهم ولاصوله ، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاه لما عرفت دارمية من أطلال خولة ؛ بمنه وكرمه ... إجازة كاتب هذه الأحرف ، ماله - سمح الله له في مدته - من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية والتأليفات الأدبية ، على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها ، بحسب ما تأدّى ذلك إليه ، واتصل به ؛ من قراءة أو سماع أو إجازة أو وصية أو وجادة من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم ، وإجازة ماله - أحسن الله إليه - من مقول نظماً أو نثراً ، تأليفاً أو وضعاً ، إجازة خاصة ، وإثبات ماله من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم ، وإجازة ماله يقع له بعد ذلك إجازة ؛ عامة على أحد القولين في المسألة ، فإن الرياض لا ينقطع زهرها ، والبحار لا تنفد دررها ، وإثبات ما يحسن إثباته في هذه الإجازة ، من المقاطيع الرائقة ، والأبيات اللائقة ، وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلاً في ذلك . وكتبه خليل بن أبيبك بن عبد الله الألبكي بالقاهرة المحروسة في مستهل شعبان سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فكتب الشيخ جمال الدين بحسباً لسؤاله بما صورته :
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد حمد الله الذي إذا توجه إليه ذو السؤال فاز ،

وإذا استدعى دعا كرمه ذوو الطلب أجاب وأجاز ، والصلاة على سيدنا محمد
 كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز ، وعلى آله وصحبه الذين هم حقائق
 الفضل والفصل ومن بعدهم محاز . فلولزم في كل الأحوال تناسبُ المحاطبة ، وكان
 جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة ، لما رضى سجعُ الحمام لمطارحته
 نوعاً من الأطيار ، ولا قبل فصحاء الأول مراجعة الصدى من الديار ، ولا قمع
 غمزُ حواجب الأحيّة برد القلوب المأعة في أودية الأفكار ؛ ولكن تقول الأكاير
 والأولياء تبذل من الأجوبة جهدها ، وتنفق عما عندها ، وتجرد الأمائل سيموف
 النطق ولا تعتمدى الأنباع من الطاعة حدها . ولما كفت أيها الراقم برود هذا
 الاستدعاء ببيانها ، وللنشيء روض هذا السؤال بآثار السحب من بنانه ، والسائل
 الذي بهرت الأفكار فضائله ، وسحرت أرباب العقول عقائده ، وأقام المسئول
 مقاماً ليس هو من أهله ، فليتيق الله سائله . فريد فن الأدب الذي لا يبارى ، وبحره
 الذي لا يهدى غائص قلبه الدر إلا كباراً ، وذا اليد البيضاء فيه الذي طالما
 آنس من جانب ذهنه الشريف نارا ، وخليله الذي أطلع على أسرارهِ الدقيقة ،
 ورئيسه الذي لو طارح ابن الممتز وتمت ولايته لكان خليل أمير المؤمنين
 على الحقيقة ، وناظمه الذي يسرى الطائيان تحت علمه المنثور ، وكتابه الذي
 يتجسج المبدان بالخول تحت رقه المأثور . طالما شافه منه العلم وجهاً جميلاً ، وقدرأ
 جليلاً ، ولاقي من لا يندم على صحبته فيقول : يا ليتني لم أتخذ فلاناً خايلاً .
 فهو الفرس الذي يقصر عن أمالي وصفه الشجرى ، ويفخر الدين والعلم بسخبه
 ولفظه ، فهذا يقول : غرسى وهذا يقول ثمرى . كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء
 جيل ، وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بُيئة ومن وجهه جميل ، وكم
 تنزهت الأفكار من لفظه وخطه بين آس وورد ، لا بين إذخر وجميل ، وكم دام
 عهدهِ وودّه حتى كاد يبطل قول الأول : « دليل على الأيدوم خليل » . تود الشهب
 لو كانت حصباء غدیر طرسه ، وبقار الأفق إذا طرز برّاع درجه بالظالماء أردية
 شمسه ، وبقاسد النظم والنثر على ما تلتجج مقدمات منطقته من النتائج ، وينشده

كل منهما إذا حاول القول: خليل الصفا، هل أنت بالدار عائج! إن كعب أغضى
ابن مثله من الحسد على قذاه، وحمل ابن البواب لحجته عصا القلم قائلا:
ما ظلم من أشبه أباه، وإن نحا النحو لبهاء عشرأ، ولانت أعطاف الحروف
قسراً، وتشاجرت الأمثلة على لفظه، فلا غرو أن ضرب زيد عمرأ، يترجل
كلام الفارسي بين يديه، وبطير حفظ ابن عصفور حذراً من اللبازي المطلق عليه.
وإن شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد، وخمل ذكرها في كل ناد، ونصبت
بيوت نظمه على يفاع الشرف كما تنصب بيوت الأجواد، طالما بلد لبداً،
وولى منه شعر ابن مقبل شريداً، وقالت الآداب لبحترى لفظه: ألم نربك
فيما وليداً! وإن نرفا الدر اليتيم إلا تحت حجره، ولا الزهر النضير
إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة
تحت نهيمه وأمره، وإن تكلم على فنون الأدب روى الظماء، وجلا معاني
الألفاظ كالدمى، وقالت الأعاريف له ولا بن أحمد: خليل هبا بارك الله فيكما.

هذا وكم أثنى قديم علم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت رواية
الأحاديث النبوية بفضله، وما أغلى من شهر بفضله الحديث والقديم!

علت به درجات الفضل واتضحت دقائق من معاني لفظه البهيج
هذا وليل الشباب الجون منسدل فكيف حين بضئ الشيب بالمرج
يا حبذا أعين الأوصاف ساهرة بين الدقائق من عليها والدرج
بدانني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، واضمحلت عياني، وكاد
من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني. وحملت كاهلي من المن ما لم يستطع،
وضربت للذكرى في الآفاق نوبة خلية لا تنقطع، وسألتني - مع ما عندك من
الحاسن التي لها طرب من نفسها، وثمر من غرسها - أن أجيبك وأجيزك،
وأوازن بمثقال كلمي الحديد إبريزك، وأقابل لسنك المطاق بلساني المحصور،
وأثبت استدعاءك الجليلي على بيت مال نطق الكسور، فتعجرت بين أمرين
أمرين، ووقع ذهني السقيم بين دائرتين مضرين، إن فعلت ما أمرت فما أنا من أرباب

هذا القدر العالي ، والصدر العالي ، ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا
 الملك العزيز ، وكيف أطالب مع إقتار علمي وفهمي بأن أمدح وأجيز ، وأين
 لمقيّد خطوي هذه الوثبات . وأني يماثل قوة هذا الفرس ضمف هذا النبات :
 وإن منمتُ فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب مني ، وأهملت الطاعة
 التي أقرع بملها برمح القلم سني ، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض
 الأفق وقال قطني . ثم ترجّح عندي أن أجيب السؤال ، وأقابل بالامتثال ،
 صابراً على نهكم سائلي ، معظماً قدرى كما قيل بتغافلي ، منقاداً إلى جنة استدعائك
 من السطور بسلاسل . وأجزت لك أن تروى عنى ما يجوزلى روايته من مسموع
 وما نثور ، ومنظوم وممنثور ، وإجازة ومناولة ومطارحة ومراسلة ، ونقل وتصنيف ،
 وتنضيد وتنفويف ، وماض ومتردد ، وآت على رأى بعض الرواة ومتجدد ،
 وجميع ما تضمنه استدعاؤك ، فأجمع ما يسكون من لفظه المتفرّد ، كاتباً لك
 بذلك خطي ، مشترطاً عليك الشرط المعتبر ، فليكن قبولك يا عربي البيان جواباً
 شرطى ، ذاكرأ من كنع خبرى ما أبطأتُ بذكره ، وأرجو أن أبطىء ولا أخطىء .
 فأما مولدى فبمهر الحروسة ، سنة ست وثمانين وستائة ، بمنزلنا بزقاق
 القناديل . وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً ، فمن أئدهم
 الشيخ شهاب الدين أبو الهيثماء غازى بن أبى الفضل بن عبد الوهاب المعروف
 بابن الرداف ، والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبى الفرج الحمصرى
 البغدادى ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى محمد إسحاق الأبرقوهى . وأما
 ذوو الإجازات فى مصر وغيرها من الأمصار فكثير . وأما الفضلاء والأدباء
 الذين رويت عنهم ورأيت منهم ، فمنهم القاضى الفاضل محيى الدين أبو محمد عبد الله
 ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى ، والشيخ الإمام
 بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي النحوى ، والأمير
 الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل القينى
 الأمدى ، اقترح علىّ - ولم أبلغ الحلم - نظاماً فى زيادة الفيل فقلت :

زادت أصابعُ نيلنا وَطَمَتْ فَأَكَدَتْ الأَعَادِي
وَأَتَتْ بِكُلِّ جَمِيلَةٍ مَا ذِي أَصَابِعُ ذِي أَيَادِي
والشيخ العالم الدين قيس بن سلطان الضرير من أهل منية بني خصيب ،
قرأت عليه كثيراً من الكتب الأدبيات ، وكان كثيراً ما يستعذني إلى إن
أنشدته قولي :

يا غائبين تملأننا لغيتهم بطيب عيش ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تمب
فقال : أنعب والله جذعك القرّح .

والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المفسر ،
أنشدني لنفسه :

لا أَرَى لِي فِي حَيَاتِي رَاحَةً ذَهَبَ لَذَّةَ عَيْشِي بِالسَّكْرِ
بَقِيَ الْمَوْتُ لِمَثَلِي سِتْرَةً يَا إِلَهِي أَنْتَ أَوْلَى مِنْ سِتْرِ
فأنشدته لي :

بَقَلْتُ وَجْهَةَ الْمَلِيحِ وَقَدَوْتُ زَمَانَ الصَّبَا الَّذِي كُنْتُ أَمَلِكُ
يَا عِذَارَ الْحَمِيمِ دَعْنِي فَإِنِّي لَسْتُ فِي ذَا الزَّمَانِ مِنْ حَلٍّ بِقَلِّكَ
والشيخ الأديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصري ، سمعته ينشدني
لنفسه :

واخجلني وصحائف سود غداً وصحائف الأبرار في إشراق
وتوقمي لموبخ لي قائل : أ كذا تكون صحائف الوراق !
والأديب الفاضل نصير الدين الحمصي ، أنشدني لنفسه :

أَحَبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيَّ وَمَا حَوَتْ غَزَالُ تَبَدَّى لِي بِكَأْسِ رَحِيقِ
وَقَدْ شَهِدْتُ لِي سَمَةَ اللَّهِو أَنْتِي أَحَبُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ كُلِّ عَتِيقِ
فأنشدته لي :

إني إذا آنستُ همًا طارقًا عَجَلتْ بالذات قطع طريقه
ودعوت ألقاظ المليح وكأصه فنعمت بين حديثه وعميقه
وجاعة يطول ذكرهم ، ويمر على ألا يحضرني الآن إلا شعرهم .
وأما مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمعها ، ولولا جبر الخزان
الشريفة السلطانية الملكية لها ما استجزت نصبها ولا رفعا ، فهي : كتاب
جمع الفرائد ، كتاب القطر النبائي ، كتاب سرح العميون في شرح رسالة ابن زيدون ،
ومنتخب الهدية من المدايح المؤيدية ، والفاصل من إنشاء الفاضل ، وزهر
المنثور ، وسجع المطوق ، وأبزار الأخبار ، وشعائر البيت التقوي ، لم يكمل إلى
الآن ، والأرجوزة المسماة فرائد السلوك في مصايد الملوك . أجزت لك أعزك الله
روايتها غنى ، ورواية ما أدوته وأجمه بمد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك
ونثقه ، ونسخه وحققه ، وتضمنه سؤالك الذي تصدقت به علي ، فمذك السؤال
ومذك الصدقة . والله تعالى يشكر عهدك الجميل ، وكلماتك الجزلة ، وكرمك
الجزيل ، ويمتدح فنون الفضائل المتبعة إلى ظل قلبك الظليل ، ولا يعدم
الأحباب والآداب من اسمك وسميتك خير صاحب و خليل . بمنه وكرمه .

قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن صالح بن
علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباته الفارقي
ثم المصري الجذاعي ، عفا الله عنه . انتهى .

* * *

ومن نظم صاحب الترجمة رحمه الله ما أنشدنا ابن الفرات إجازة ، أنشدني
الشيخ صلاح الدين بن خليل لنفسه إجازة :

أفديه ساجي الجفون حين رنا أصاب مني الحشا بسهمين
أعدمني الرشد في هواه ولا أفلح شيء يُصاب بالمين
وله :

سألتُ عن منام عيني وقد براه جفا وبين
والنوم قد غاب حين غبتم ولم يقع لي عليه عين

وله أيضاً :

المقلة السوداء أجفأها ترشق في وسط فؤادي نبال
وتقطع الطرق على سلوتي حتى حسبنا في الشویدا رجال
وله أيضاً :

إن لم يصدقني تصدق بالكري ليזורني فيه الخيال الزائل
وانظر إلى هجري لوصلك واغتم أجرى وقل للدمع : قف يا سائل
وله أيضاً :

يقول وقد أنكرته قبله فصبتها في زورة اللطيف
هذا عذاري وجفوني فقم واحلف على للصحن والسيف
وله في معذر :

محمياه له حسن بديع غدا روض الخلود به مزره
وعارضه رأى تلك الحواشي مذهبة فزمتكم وشمر
وله أيضاً :

أنفقت كنز مدائمي في ثغره وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبله فأبى وراح تفزلي في البارد
وله أيضاً :

كنوس المدام تحب الصفا فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها فأحسن ما ذهبت بالطلا
وله أيضاً :

أقول له ما كان خدك هكذا

ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى
فن أين هذا الحسن والطرف قال لي : فتفتح وردي والعذار تخرجا

وله أيضاً :

يا من إذا ما أتاه أهلُ المودة أولم
أنا محبُّك حقاً إن كنت في القوم أولم

وله أيضاً :

بسمِ الحَظِّه رماني ودُّبت من هجره وبينه
إن مت مالى سواء خصمٌ لأنه قاتلي بعينه

قلت : وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير ، وفضله غزير ، وهو شاعر مجيد ، على أن جيده بقل عن رديته ، ولولا أنه كان ضئيلاً بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان يدركه الردي ، ويكثر منه الجيد ، فإنه كان غواصاً على المعاني ، مبتكراً للنكت البديعة ، عارفاً بفنون الأدب ، لكن رأيت من نظمه بخلطة عند ما يمارض بعض من تقدمه من مجيدي الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة ، فينظمها في بيتين ، ويمجد فيهما بحسب الحال ؛ ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعينه بيتين آخرين ، ثم بيتين ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى ، وهو يقول : قلت وقلت .. أنا إلى أن يملأ النظر ، وتسأمه النفس ، ويمجّه السمع ، فلو ترك ذلك وتحرّى في قريضه ، لكان من الشعراء المجيدين ، لما يظهر لي من قوّة شعره ، وحسن اختراعه .

توفي الشيخ صلاح الدين المذكور بدمشق في ليلة الأحد عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة عفى الله عنه (١) .

* * *

وقد سبق لهذا الكتاب أن نشر في بغداد سنة ١٣٢٧هـ ، ولكنها كانت نشرة خلت من الأوصالة والتحقيق ، وشاع فيها الخطأ والتحريف . وحينما عزمت على إخراجه على المنهج العلمي تهيأت لي الحصول على النسخ الآتية :

(١) التهل الصافي ، مخطوطة دار الكتب برقم ٦٣٠ - تاريخ .

١ — نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٥٣٦ — أدب طلعت ، بخط محمد ابن محمود بن محمد بن خليل الشافعي تمت كتابته في « يوم الأحد المبارك الأول من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وتسماية » ، كتبت بقلم معتاد تغلب عليها الصحة ، وفيها بعض الضبط وخاصة في الشعر . تقع في ٣٥١ صفحة ، في كل صفحة ٢١ سطر ، في كل سطر عشر كلمات تقريباً ، وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً في التحقيق .

٢ — نسخة مخطوطة بدار الكتب محفوظة برقم ٢٤٨ — أدب ، كتبت سنة ١٠٨٤ ، بخط نسخ ، خال من الضبط ، تقع في ١٧٤ ورقة ، وفي كل صفحة ٢١ سطر ، وفي كل سطر ١٣ كلمة تقريباً ، وقد رمزت بالحرف د .

٣ — نسخة مخطوطة محفوظة في دار الكتب برقم ١٩ م — أدب مخطوطة بقلم معتاد بدون تاريخ ، تقع في ١٥١ ورقة ، والشعر مضبوط ضبطاً تغلب عليه الصحة ، وفي كل صفحة ٢٥ سطر ، وفي كل سطر ١١ كلمة تقريباً ، وفي نهايتها ترجمة مختصرة للصفدي مؤلف الكتاب وقد رمزت لها بالحرف م كما أنى رمزت للنسخة المطبوعة برقم ط .

هذا علما ما رجعت إليه من كتب التاريخ ومما جم اللغة ودواوين الشعر ، وكتب الأدب . وقد صنعت له الفهارس المتنوعة ، ما ييسر الانتفاع به إن شاء الله ، والله ولي التوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٩

٣ يولييه سنة ١٩٦٩